

الغلاف في ترجمات الكتب المقدسة دراسة مقارنة

د.ة. مليكة ناعيم

مراكش، المغرب

تقديم:

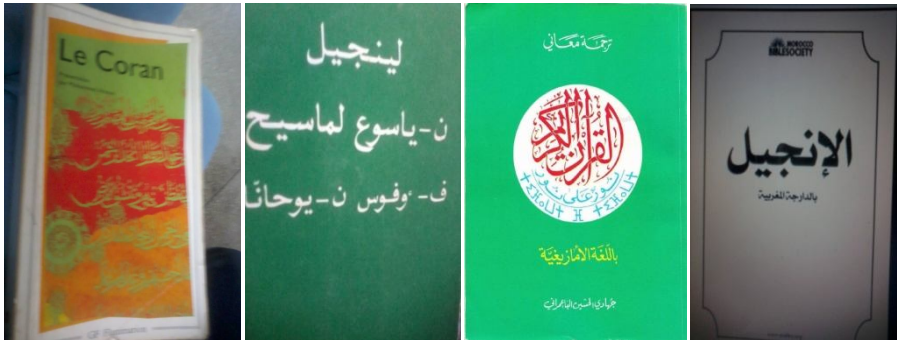
تثير ترجمة النصوص المقدسة أسئلة كبرى في الثقافات المختلفة، لاسيما الثقافة الإسلامية التي تفر باستحالة ترجمة النص المقدس، وإنما تقرب معانيه من المتلقي بلغته، وتمثل التفسير مظهرا منها، وهذه الأسئلة تحيط بالمتن كله وبمكوناته المختلفة، لذلك فإن النصوص الموازية في ترجمات الكتب المقدسة تمثل مجالا خصبا للقراءة والتأويل واستتطاق الخلفيات والبحث عن عناصر الرسالة، ويتضح هذا أكثر بالمقارنة بين ترجمات مختلفة.

تبدو المقارنة مجدبة عندما يتعلق الأمر بترجمة الشخص نفسه لأكثر من كتاب مقدس، أو بترجمات مختلفة لنص واحد، إيمانا بأن المقارنة تقتضي قواسم مشتركة من مثل وحدة اللغة والاتحاد في البيئة والالتقاء في التاريخ. ولأن الإشكال الذي اخترته لبحتي لم يسعني بداية في إيجاد نص مستوف لهذه الشروط، فقد حاولت التمرد عليها واختيار نصوص مختلفة تشترك في بيئة القارئ المستهدف (المغربي)، لترجمات مختلفين، يتعلق الأمر بترجمتين مجهولتي الكاتب للإنجيل إلى اللغتين الأمازيغية والدارجة المغربية، وترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأمازيغية لجهادي الحسين الباعمراني مع الاستئناس بترجمة كازامرسكي للقرآن إلى اللغة الفرنسية، بغية مقاربة الأسئلة الآتية:

ما المتحكم في بناء غلاف ترجمة النص المقدس؟ وتحديد عناصره؟

لماذا تتغير عناصر الغلاف من ترجمة لأخرى للكتاب نفسه؟ ومن ترجمة كتاب إلى ترجمة كتاب آخر؟

ما علاقة الغلاف بخلفية المترجم وبالموقف من النص موضوع الترجمة؟ وقد أطرت الغلاف بعده لوحة ضمن معمار النص تمثل صفحة تتميز عن الصفحات المشكلة للنص بطابعها الدلالي الأيقوني وبتنظيم العلامات البصرية بكيفية تجعلها ترسخ المتن وتلخص تصور المؤلف والناشر. وسأتناول الموضوع من خلال العناصر الآتية: الغلاف / اللون / العناصر / العنوان.



11/ اللون: يمثل اللون علامة بصرية لها مكانتها في تكثيف دلالة النص بما تثيره في نفسية المتلقي، وزيادة درجة إقباله على النصوص البصرية، لذلك ينبغي التركيز في التحليل على أبعاد اللون ودرجات استخدامه وتقنيات تدرجه. بالنظر إلى متن الاشتغال أجد الأغلفة تلتقي في خاصية أساس هي البساطة في شكل الغلاف والتقارب في الألوان المعتمدة، وتختلف كثيرا عن غلاف ترجمة كازامرسكي للقرآن الكريم الذي هو عبارة عن لوحة فنية تتداخل فيها الألوان والخطوط. فالترجمة إلى الأمازيغية سواء بالنسبة للقرآن أو بالنسبة للإنجيل اعتمدت اللون الأخضر خلفية موحدة للغلاف ولهذا اللون دلالة ترتبط من الناحية

الاجتماعية بالنماء والخصب، ومن الناحية الروحية بالإخلاص والخلود والتأمل الروحي، يسمى لون الكاثوليك المفضل، وقد ارتبط بالجنة والنعيم ووصف به الله تعالى لباس المسلمين في الجنة في آيتين قرآنيتين¹، فهو لون يجمع العقيدتين .

إن اختيار اللون الأخضر يرتبط بطبيعة المتن فهو النص المقدس الذي هو كلام الله وطريق الخلاص والنجاة، وهي خاصية تجمع الكتب المقدسة، وهو أيضا يستحضر الثقافة المستقبلية وهي الثقافة المغربية أمازيغية وعربية، فاللون الأخضر من الألوان المقدسة، فهو لون الأمل والطبيعة ورمز الشباب، ولون ما يوضع فوق قبور الأولياء من الأستار وما يوضع فوق رأس من أصيب بالصرع ومن اشتد به الحال في الجلسات الصوفية. والفأل الحسن للعروس ليلة الزفاف.

فاختيار اللون هنا فيه اعتبار للموضوع وللمتلقي المفترض، وفيه أيضا حضور لخفية واضع الغلاف؛ فهو المؤمن بقدسية النص ولا أقول المسلم إلا بالنسبة لصاحب ترجمة معاني القرآن إلى الأمازيغية الذي صرح بعقيدته في المقدمة.

ويزيد من نقاء هذا اللون ورود اللون الأبيض الجامع بين الثقافتين أيضا، كتب به العنوان في ترجمة الإنجيل، ويعكس دلالاته وعلاقته بالمسيح الذي غالبا ما يمثل في ثوب أبيض رمزا للصفاء والنقاوة والقدسية أيضا²، ومثل دائرة مغلقة تتضمن عنوان "القرآن الكريم" مكتوبا باللون الأحمر، ومفصولا عن الجزء الأول من العنوان، وهو "ترجمة معاني" الذي كتب أعلى الصفحة وسطا بلون وخط مغايرين، في كتاب ترجمة معاني القرآن الكريم، وهنا تحضر خلفية المترجم الذي يقر بأنه لا يدعي نقل النص ولا الجرأة عليه، فهو نص مقدس فريد ومحاط بالأسرار والدلالات الخفية ومحاط بحفظ الله له، متمس بالكمال بحسب دلالة الشكل الدائري، وإنما يحاول فقط تقريب المعنى من المتلقي بلغته، يقول في المقدمة: "والهدف إذن هو المساهمة في تيسير فهم المعاني قدر المستطاع"³، وقد أشار إشارة صريحة في المقدمة إلى أهمية إيراد النص القرآني في خط مواز لعمله لتيسير الفهم وهو

المنهاج المعتمد في الترجمات المشهورة، لكن حالت دون ذلك أمور مادية⁴، كما صرح بصعوبات ترجمته لتتووع معانيه واشتماله على ما استأثر الله به وعلى المحكم والمتشابه. في حين مثل اللون الأبيض أرضية غلاف ترجمة الإنجيل إلى الدارجة المغربية.

هذا بخلاف غلاف ترجمة كازامرسكي للقرآن فهو نص ديني إسلامي موجه إلى مثقف غير عربي. فالغلاف يمثل نصا بصريا تتداخل عبره العلامات الكاليفرافية والألوان المتداخلة والمتدرجة بشكل معبر؛ إذ اجتمع فيها: الأصفر والأحمر والأخضر، وصنفت تصنيفا مقصودا، يعكس تصور واضع الغلاف للدولة الإسلامية، فهي تعكس طبيعة النص المقدس عبر اللون الأخضر ومنطقة نزوله باللون الأصفر والمركز الذي يمثله اللون الأحمر والذي يختزل تصورهم للفتوحات الإسلامية وربطهم الدين الإسلامي بالقتال والعنف على وفق دلالات اللون الأحمر⁵، وهذا يؤثر بحسب تصورهم في تحديد مفهوم المجرم والذي تعكسه الآيات القرآنية الحاضرة في الغلاف وموضعها..

2- الثابت والمتحول في صفحة الغلاف

تختلف عناصر صفحة الغلاف الخارجي من كتاب لآخر، لأنه غالبا ما يكون إشهاريًا وتجاريًا تتحكم فيه دار النشر أكثر مما يحرص عليه المؤلف؛ لذلك ينصح الطلاب بالاعتماد في التوثيق على صفحة الغلاف الداخلية التي تتضمن العناصر الأساس والعنوان الكامل للكتاب.

بالمقارنة بين الكتب موضوع الاشتغال نلاحظ اتفاقا واختلافا:

أ- العناصر الثابتة في صفحة الغلاف:

تنفق الترجمات كلها في إيراد العنوان مع اختلاف في عبارته، وهذه المسألة أساس؛ إذ العنوان أمانة الكتاب وعتبته واسمه، فنجد:

➤ الإنجيل بالدارجة المغربية.

➤ الإنجيل نْ ياسوع فْ أفوسْ نْ يُوْحْنَا.

➤ ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأمازيغية.

فالملاحظ أن ترجمات الإنجيل مثل ترجمة كازمرسكي للقرآن تقر بأن المترجم هو كتاب مقدس لذلك تغيب عنصر الترجمة أو ما يشير إليه في العنوان، وتخالفا في هذه الخاصية ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأمازيغية الذي يقر عنوانه بأن القصد هو تقريب معاني القرآن من المتلقي الأمازيغي، وهذا الاختلاف وارد بين ترجمات القرآن بين من يقر بأن العمل هو نقل للنص وبين من يعده تقريبا للمعاني من المتلقي، فهو أمر متعلق بالخلفية الفكرية ويتصور المترجم لطبيعة المتن.

تتفق ترجمتا الإنجيل في عدم ذكر المترجم مطلقا وتوافقهما ترجمة كازامرسكي في عدم ذكره بصفحة الغلاف، لكن استدرسته في الصفحة الغلاف الرابعة وخالفتها في ذلك ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأمازيغية؛ إذ صرح بالاسم العائلي والشخصي للمترجم وينسبه أيضا المرتبط بلغته الأم، جهادي الحسين الباعمراني، أسفل العنوان مباشرة، مع أن الاسم الثلاثي ليس مشهورا في الثقافة المغاربية، لكن له أهميته في علاقته بلغة الكتاب وبالقارئ المستهدف.

وفي هذا الإغفال دلالات إيديولوجية ودعائية واجتماعية، فالنص المقدس كلام ووحى من الله لذلك فذكر اسم المترجم بعده المؤلف قد يخلق لبسا بالنسبة للقارئ، لاسيما أن العنوان لا يضمن ما يفيد الترجمة وإنما هو تكييف للعنوان الأصلي مع اللغة الهدف عن طريق قلب الرسم Tanscription، وهذا سيتضح من الفقرة الموالية، وفي هذا الإغفال أيضا خلق للفضول المعرفي لدى القارئ وتشجيع له على تصفحه وقراءته والبحث عن الكاتب من خلال أسلوبه. كما أن فيه نوعا من الهروب من سلطة الرقيب.

إن تأويل الظاهر والمضمر في الغلاف يصعب في غياب النصوص الأخرى وبخاصة اسم المترجم والمقدمة، وهذا مما يميز كتاب ترجمة معاني القرآن إلى الأمازيغية؛ إذ وضع له صاحبه مقدمة أجابت عن أسئلة العنوان وسوغت مضمره وفسرت ظاهره.

ب - عناصر الاختلاف:

دار النشر: انفردت نسخة الإنجيل بالدارجة المغربية بذكر دار النشر أو المنظمة الساهرة على مشروع الترجمة، في أعلى الصفحة وسطا، Morocco⁶ Bible Society، فهي من الناحية الموضوعية قبل العنوان، وهذه مسألة ذات قيمة لأن القارئ المقصود هو المغربي وتشجيعه على تقبل كتاب يعد في وقت ما من المحرمات وصعب التداول في هذه البيئة يدعمه التنصيص على أن هناك منظمة بالمغرب ترعاه، أي أنه صار متداولاً ومعتزفاً ومسموحاً به للمواطن المغربي، وفيه أيضاً نوع من الدعاية لهذه المنظمة يدعمه إيراد موقعها الإلكتروني أسفل صفحة الغلاف في شكل مقابل لاسمها في الأعلى، والواسطة بينهما هو عنوان الكتاب، ولهذه دلالة كبرى لاسيما إذا عرفنا شعار المنظمة وهو: "إن هدفنا هو إيصال الكتاب المقدس إلى كل المغاربة بغض النظر عن جنسهم ولونهم ودينهم ولغتهم الأم، حتى يتعرفوا على رسالته النبيلة ومبادئه الراقية، والتي بفضلها تغيرت أمم ومجتمعات بكاملها"⁷. فالغاية التبشيرية واضحة وتدعمها العبارات التي تترجم بها عنوان الإنجيل إلى بعض اللهجات، منها: الريفية: لُخْبَارُ أَصْبِحَانِ نْ إِشُوُ الْمَسِيحِ، بمعنى البشارة السارة لعيسى المسيح، فهذه ترجمة اعتمدت معنى كلمة الإنجيل في لغتها الأصل، وبالأمازيغية أَغْرَاسُ نْتُوْدْرْتْ؛ بمعنى طريق الحياة، ولم تشر إلى هذا ترجمة الأمازيغية ولا ترجمة معاني القرآن إلى الأمازيغية، وإنما ركزتا على عناصر أخرى، وذكرتها ترجمة كازمرسكي في الصفحة الرابعة من الغلاف.

النبي صاحب الرسالة والرواية

انفردت ترجمة الإنجيل إلى الأمازيغية بعنوان فرعي يمثله صاحب الرسالة والرواية المعتمدة، الإنجيل ن يأسوع المسيح ف. أفوس. ن. يوحنا، بمعنى الإنجيل لياسوع على يد يوحنا، وهذه مسألة تتفق فيها ترجمات الإنجيل إلى اللهجات الأمازيغية في صفحة المنظمة سالفة الذكر، فقد يكون الكتاب صادرا عنها، لكنها هي تترجم العنوان إلى اللغة الهدف - كما يتبين من المثالين المذكورين سلفا- بخلاف هذه التي احتفظت بالأصل مع قلب الرسم، ولم تذكره الترجمات الأخرى في صفحة الغلاف، لكنها استدرسته في المقدمة بالنسبة لترجمة معاني القرآن؛ إذ اعتمد رواية ورش وعلله بكونها المعتمدة في المغرب⁸، ففيه استحضر للقارئ ولخلفية المترجم، وفي بداية النص بالنسبة للإنجيل إلى الدارجة المغربية لأنها لم تتضمن مقدمة رواية وقد اعتمد رواية متى من غير تعليق.

وذكر الرواية هنا ذو أهمية كبرى، لأن لكل رواية مميزات سواء بالنسبة للإنجيل التي تختلف الموضوعات من كاتب لآخر، أو بالنسبة للقرآن الذي تختلف فيه القراءات وتختلف باختلافها المعاني اختلاف تكامل وليس اختلاف تضاد أو تناقض، وقد أحسن البوعمراني حين ذكرها في المقدمة مرفقة بمسوغ الاختيار. وعدم ذكره في العنوان فيه خلق فضول المعرفي لدى القارئ لقراءة المقدمة؛ إذ تتضمن مفاتيح أساسا لقراءة الكتاب وفهم مغزاه. ويصعب تأويل سبب الاختيار بالنسبة للترجمتين الأخرين لغياب المقدمة⁹، لكن الرجوع إلى صفحة المنظمة تظهر الغاية التبشيرية واضحة وصريحة. لذلك أحالت على الموقع الإلكتروني في صفحة الغلاف.

من العنصرين السابقين يتضح الاختلاف في الهدف:

- فترجمة الإنجيل تسعى إلى نشر النص والإقناع برسالته.
- وترجمة معاني القرآن تسعى إلى توضيح معانيه للمؤمن به.

ج - لغة الهدف:

اتفقت ترجمة الإنجيل إلى الدارجة المغربية وترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأمازيغية في التنصيص على صفحة الغلاف ضمن عنوانها الفرعي على لغة الهدف أسفل العنوان الرئيس مباشرة، وخالفها في ذلك ترجمة الإنجيل إلى الأمازيغية، ذلك لأن عنوانها وإن احتفظ باسم الإنجيل وكتب بالحرف العربي، ففيه ما يوحي باللغة الهدف: بالنسبة للقارئ المفترض وهو الأمازيغي الذي يقرأ بالحرف العربي، وهو قوله: ياسوع ف أفوس ن يوحنا، بمعنى لياسوع على يد يوحنا.

لكن كان التنصيص عليه مفيدا بالنسبة للدارجة المغربية، لأن العاميات كثيرة ومختلفة، والتقييد يحدد القارئ المفترض مع أن الدارجة المغربية أيضا عامة إذا أخذنا بالاعتبار أن لكل منطقة لهجة تميزها، لكنه لازم بالنسبة لترجمة معاني القرآن إلى الأمازيغية لأن لغة النصوص الموازية كلها عربية ومنها المقدمة والعنوان، وهي مفارقة بين النص العتباتي الذي هو مفتاح للتلقي وتعاقد بين الكاتب والقارئ، وبين القارئ المفترض والمؤلف اللذين يمثلان الثقافة الأمازيغية، وكان الأولى أن تثبت باللغتين معا أو باللغة الهدف، لأنه فيه مغالطة، وكأن النصوص الموازية موجهة إلى النخبة المثقفة التي تتقن اللغة العربية والمتن هو المقدم للأمازيغي الذي يقرأ بالحرف العربي، أو أن المؤلف يؤمن بأن كل أمازيغي يحسن القراءة فهو يتقن العربية. وهي مسألة ليست صحيحة.

والمنظرون للترجمة يرون أنه" يجب على المرء أن يحترم خصائص اللغة المستقبلية ويستغل إمكاناتها لأقصى درجة ممكنة ومتاحة"¹⁰. ويسوغ ملحوظاتي هذه أنه صرح بأن القارئ المفترض هو من لا يعرف سوى الأمازيغية، يقول في المقدمة: "وأتمنى أن تساعد هذه الترجمة على فهم مباشر لمن لا يعرف سوى الأمازيغية، وقد تفيد من لا يتخصص في العلوم الدينية وكذلك من توقف عن

الدراسة مبكراً¹¹. فهذا القارئ لا يمكنه أن يقرأ باللغة العربية الفصحى، وهي مسألة اهتم بها المترجمون للإنجيل؛ إذ يترجمون العنوان إلى اللغة الهدف بألفاظ مثيرة: أغراس نتودرت مثلاً. إن وجود الحرف العربي ملحوظ في ترجمات القرآن إلى اللغات غير العربية، فترجمة كازمرسكي مثلاً أدرجت في صفحة الغلاف آيات قرآنية مبتورة من سورة مريم واعتمدت الخط العربي لكن باقي العتبات باللغة الفرنسية. وبعضها عنون بلفظ وحرف عربيين من مثل الرحمن الرحيم. وفيه موقف المترجم من القرآن الكريم. فكأن الترجمة هي نفسها الكتاب المقدس.

3/ العنوان:

يعد العنوان الأثر الذي يتعرف به إلى مضمون النص والظاهر الذي يستدل به على باطنه، فهو اسمه وأمارته والدادل عليه.

التزمت الترجمات الثلاثة بعنوان الكتاب المقدس مع قلب الرسم في قلب صفحة الغلاف، وخالفت في ذلك ترجمة القرآن إلى الأمازيغية التي أفصحت عن طبيعة العمل الذي هو تقريب المعاني من القارئ وليس نقلاً للنص المتعبد به، فعنون بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأمازيغية، فالعنوان بداية يرتبط بخلفية المترجم وتصوره لطبيعة المتن، ويصدق هنا قول الجزائر: "إن العنوان بعده قصداً للمرسل يؤسس أولاً: لعلاقة العنوان بخارجه، سواء كان هذا الخارج واقعا اجتماعيا عاما، أو سيكولوجيا، وثانياً: ليس علاقة العنوان بالعمل فحسب بل بمقاصد المرسل من عمله أيضاً، وهي مقاصد تتضمن صورة افتراضية للمستقبل، على ضوءها، كاستجابة مفترضة يتشكل العنوان لا كلغة، ولكن كخطاب"¹².

نلاحظ أن العنوان باللغة والحرف العربيين، مما جعل مفارقة بينه وبين المتن من جهة، وبينه وبين المتلقي من جهة ثانية، وإن حاول الاستدراك بذكر اللغة الهدف وهي الأمازيغية، وكان الأولى الالتزام باللغة نفسها فاللغة الأمازيغية لم تعجز عن تقريب معاني القرآن فكيف تعجز عن إيجاد عنوان ومقدمة مناسبين.

وتميزت نسخة الإنجيل بالأمازيغية بالتوسع في العنوان الفرعي، بنسبته إلى النبي الموحى إليه به وإلى الكاتب، بالأمازيغية ن ياسوع ف. أفوس ن يوحنا، ذلك على الرغم من أن التعريف بالألف واللام يعني عن النسبة، فالإنجيل معروف ولا يشك أحد في أنه رسالة الله للنبي عيسى عليه السلام لكن الشك في النص المتداول وما لحقه من تحريف وتغيير مقصود أو غير مقصود. فكأن في هذه النسبة إثبات لأصالة النص وصحته وتبكيك لحجج من يطعن في صحته. وهذا من أهداف المنظمة سالفة الذكر مع أنني لم أجد ما يفيد أنه صادر عنها بالنسخة لكن الأهداف نفسها.

ونلاحظ هنا أنه اعتمد اسم ياسوع الماسح ولم يعتمد الاسم المألوف في الثقافة الأمازيغية عيسى مقابلا لياسوع، ولم يخالف في ذلك إلا ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية الذي اعتمد اسم عيسى المألوف في الثقافة المغربية عربية وأمازيغية، ونجد في المنظمة سالفة الذكر أن العنوان يترجم بحسب اللغة فسمته الريفية: رخبار اصبحان ن إشو لمسيح، والأمازيغية: أغاراس نتودرت. لكنها لم تعتمد عيسى. والتزمت كلها بالمسيح المقابل العربي المكافئ لمشيحا العبراني، بعده لقباً يميزه عن غيره ممن يشاركه الاسم وتعني في اللغة العبرية الممسوح من الله الذي جاء لهداية الشعب السائر في الظلمة، وهو من المعاني التي درست في العربية بعد أن كان متداولاً، ورد في لسان العرب: "والمسيح: الصديق وبه سمي عيسى؛ قال الأزهري: وروي عن أبي الهيثم أن المسيح الصديق، قال أبو بكر واللغويون لا يعرفون هذا، قال: ولعل هذا كان يستعمل في بعض الأزمان فدرس فيما درس من الكلام؛ وقال الكسائي: قد درس من كلام العرب كثير. قال ابن سيده: والمسيح عيسى ابن مريم، صلى الله على نبينا وعليهما، قيل سمي بذلك لصدقه، وقيل سمي لأنه كان سائحا في الأرض لا يستقر...¹³"

واختيار اسم يأسوع راجع إلى ثقافة المترجم ومرجعياته الدينية، التي تكره اسم عيسى لدلالاته في اللغة العربية الضعيفة والسلبية¹⁴ وتشكيكهم في أن الرسول تصرف في اسمه في القرآن بتحويله من دلالة يأسوع القوية المخلص المنجي الوحيد للعالم من الخطيئة، إلى دلالة عيسى الدنيئة والضعيفة في المعجم العربي، وقد يعترض معترض على ملحوظاتي هاته بأن أسماء الأعلام لا تترجم وإنما تحتفظ بصيغتها الأصل مع محاولة التكيف عن طريق الاشتقاق، وقد قال بهذا الكثير من المنظرين للترجمة، يقول يوجين نيدا: "إن أسماء العلم عادة ما تستعار، لأنه لا توجد لغتان تمتلكان الضبط الأصوات نفسها، فنقل كلمة من لغة إلى أخرى يحتم إجراء نوع من التكيف الذي قد يستند على الأصوات المستخدمة كما يمكن أن يكون مجرد شكل من أشكال ترجمة الحروف المستعملة لتعيين شكل الأسماء Transcription"¹⁵، نعم هذا قول صحيح لأن دلالة اسم العلم ترتبط أساسا بالبيئة المنتجة وينقل منها إلى غيرها لداع ما دون أن يترجم، لكن إذا التزم المترجم بهذا في المتن كله، وأما إذا حكّمته نزعة في الترجمة فيقتضي الأمر البحث في الخلفيات .

فالترجمات حكمتها المزاجية في التعامل مع أسماء العلم، فنجدها تعتمد اسم يأسوع كما هو في الثقافة المسيحية لدلالة عيسى غير المرغوب فيها، مع أنه المقابل المستعمل في الثقافة العربية والأمازيغية، لكنها اعتمدت اسم ماريام في الأمازيغية ومريم في الداريجة المغربية مقابل مكافئا لماري المعتمد في ترجمة القرآن إلى اللغات غير العربية من مثل الانجليزية، وهذا مع العلم بأن اسمي ماري ومارية معتمدان في الثقافة الأمازيغية إلى يومنا هذا في كثير من المناطق وكذا مارية عند العرب المغاربة، ذلك راجع إلى أن أم المسيح مشهورة في هاتين الثقافتين وفي اللغات السامية كلها باسم مريم الذي يميزها من غيرها بدلالاته على العابدة المتعبدة التي تخدم في بيوت الله، في حين أن ماري متعددة الدلالات بين

الاسطورية والتاريخية ومعناه سلبي في القاموس العربي يفيد الاختلاف والنزاع والجدال، ولم تعتمد مع أنه المختار من قبل الآباء للسيدة العزراء وبعض ترجمات العهد الجديد وفي الثقافتين اللاتينية واليونانية. ونلاحظ أنها اعتمدت أبراهام وليس إبراهيم، مما يعكس المزاجية المرتبطة بأثر الثقافة المسيحية في الترجمة في حين نجد ترجمة معاني القرآن إلى الأمازيغية احتفظت بأسماء الأعلام كما هي في القرآن الكريم عيسى ومريم وإبراهيم وغيرها مع أن نطقها يختلف لدى بعض القبائل الأمازيغية: إبراهيم: بها أو بهي، مريم: ماري..يوسف: ايشو، وفي المقابل نجد ترجمات القرآن إلى الفرنسية تعتمد المقابل المكافئ فكلها تعتمد ياسوع وماري وأبراهام وجوزيف، لكنها تختلف في ترجمة اسم محمد، فقد ترجمه بلاشير مثلا بـ: Mahomet، وترجمه كازيمرسكي وماسون بـ Muhammad، وهي اختيارات ليست بريئة وإنما تترجم مواقف أصحابها. فكأن هذه الترجمات تؤمن بقول بيتر بيو مارك: "المبدأ هو عدم ترجمة اسم الشيء أو الشخص ما لم تكن هناك ترجمة مسبقة ومعروفة [...]". أما الإجراءات المتعارف عليها في ترجمة أسماء الشخصيات التاريخية: حينما يكون للملوك أسماء شخصية قابلة للترجمة وهي مشهورة فإن أسماءهم كانت ولا تزال تترجم، أما الأسماء النصرانية التي تشير إلى شخصيات في الكتاب المقدس فهذه تترجم¹⁶. ففي هذا ميز بين أسماء تترجم وأخرى تترجم مع الإلحاح على النصرانية.

استنتاجات وتوصيات:

هذه تأملات أولية في هذه النصوص من حيث الغلاف ومكوناته وتبدو من خلالها الترجمة نقل لثقافة المترجم والناشر قبل أن تكون نقلا للنص ودلالته فيمكن أن تحدد شخصية المترجم وثقافته ومرجعياته الدينية من خلال هذه العناصر الشكلية البصرية، ويصدق قول هنري ميشونيك: "لقد ترجمنا الثقافة وزعمنا ترجمة اللغة لا غير"¹⁷.

ويبدو أن ثمة عناصر مضمرة وأخرى ظاهرة، ويسعف في تأويل المضمرة في الغلاف وجود نصوص موازية أخرى شأن المقدمة بالنسبة لترجمة معاني القرآن باللغة الأمازيغية التي أجابت عن أسئلة القارئ المفترض، وهذا لا تنتيحه النصوص الأخرى التي لا تتضمن العناصر الأساس من مثل اسم المترجم والمقدمة.

ويبدو أن الانتماء إلى عقيدة النص وعقيدة القارئ يخلق نوعا من الرقابة الذاتية للعمل كما يخلق اطمئنان القارئ إلى العمل، ولعل هذا ما يعطي ترجمة معاني القرآن إلى الأمازيغية تميزا داخل البيئة الإسلامية، ولا نعني بهذا أنه عمل مكتمل لكنه عمل صريح بتصريحه بالاسم والعنوان المميز لطبيعة النص والمقدمة التي تمثل جسر التواصل بينه وبين قرائه ممن يتقن اللغة العربية الفصحى كما أن ورود اسمه ونسبه يعطي الاطمئنان إلى أهدافه وفرصة للحوار المباشر والتواصل مع القراء عبر القراءات النقدية واللقاءات العلمية.

إن النصوص الموازية لا تمثل ترفا شكليا في النص لكن هي اختزال لشخصية المرسل وتصوره للمرسل إليه ولموقفه من المتن والهدف منه. فالفرق بين النماذج المعتمدة فرق بين من ينشر النص للإقناع به، ومن ينشر النص لتوضيح المعاني للمؤمن به، فالملحوظ أن أقل النسخ تضمنا للعناصر الشكلية الأساس للكتاب ترجمة الإنجيل إلى الأمازيغية العنوان فقط وكأن وظيفة الغلاف الأساس الإقناع بصحة النص، وأكثرها احتفاء بعناصر التوثيق ترجمة الإنجيل إلى الداريجة المغربية وأكثرها وضوحا نسخة ترجمة معاني القرآن باللغة الأمازيغية. هذا وإن كانت خلفية الناشر والمترجم تتحكم فيه وطبيعة القارئ وطرق إقناعه، فقد يتأثر أيضا بتاريخ النشر فأحدث هذه النسخ نسخة الداريجة المغربية 2012.

إن الغلاف بنية حاجبية إقناعية، يسعى واضعه إلى إقناع المتلقي بالعناصر التي يراها الأقوى في علاقتها بالمتن، فالنسخة الأمازيغية تعتبر إثبات صحة النص أقوى بنية حاجبية في الغلاف، والداريجة المغربية تعتبر الجهة المسؤولة في

علاقتها بالمتن أكثر مثير للقارئ ووسيلة لشهرة النص، في حين ترجمة معاني القرآن بالدارجة المغربية ترى أن المؤلف ونسبه ووضوح العنوان في الدلالة على مسماه أهم موجه للقارئ ومشجع على قبول الكتاب وتدعمه بوابة المقدمة. أن إدراك وظيفة النصوص الموازية يساهم في دقتها، فمترجمو الإنجيل وإن لم يضعوا له مقدمة فقد وظفوا الغلاف لتحديد المتلقي، في حين نجد أن كاتب ترجمة معاني القرآن اعتمد نصوصا كثيرة لكنها لا تناسب القارئ المصرح به من حيث اللغة الواصفة.

الهوامش:

- ¹ — ينظر: أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ط.2، القاهرة، عالم الكتب، ص.164. قوله تعالى: "عليهم ثياب سندس خضر واستبرق". الإنسان، الآية 21. وقوله تعال: متكئين على رفرف خضر.
- ² — أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص. 163 — 164.
- ³ — الباعتراني، جهادي الحسين: ترجمة معاني القرآن باللغة الأمازيغية، الدار البيضاء، 2003، ص. 3.
- ⁴ — م.ن. ص.ن.
- ⁵ — "يرمز الأحمر في الديانات الغربية إلى الاستشهاد في سبيل مبدأ أو دين. وهو رمز لجهنم في كثير من الديانات حيث توصف جهنم بأنها حمراء". أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص. 164.
- ⁶ — موقعها الإلكتروني: <http://www.biblesociety.ma>
- ⁷ — من موقعها الإلكتروني <http://www.biblesociety.ma> / يوم 5 ماي 2015.

⁸ - الباعمراني جهادي الحسين: ترجمة معاني القرآن باللغة الأمازيغية، الدار البيضاء، 2003، ص. 2.

⁹ - لكن يمكن أن نشير إلى أهمية ذكر يوحنا على الغلاف بالنسب لترجمة الإنجيل إلى الأمازيغية فهو أقرب الكتاب إلى المسيح عليه السلام اكتب هذه البشارة هو يوحنا ابن زبدي، أمه سالومه، وأخوه يعقوب، وقد كان يوحنا من عائلة متميزة فتعلّم في مدارس المدرّاش التي يلتحق بها أولاد الأشراف، وقد كانت من تقاليد العائلات في ذلك الزمان أن يتعلّم أولادها حرفة ما فاختار يوحنا حرفة الصيد، وكان يمارسها حتى رآه السيد المسيح واختاره ليكون أحد تلاميذه" فرأى (المسيح) أخوين آخرين يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه في السفينة مع زبدي أبيهما يصلحان شباكهما فدعاهما فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه) "متى 4: 21 - 23)، وبعدهما تعرف على المسيح، ظل أميناً له، حتى الليلة التي أسلمَ فيها المسيح ليصلب تبعه يوحنا عن قرب حتى دار رئيس الكهنة، وعند الصليب كان هناك أيضاً، وقد كانت ثقة المسيح فيه كبيرة حتى أن يسوع أوصاه بالعناية بالسيدة العذراء مريم (يوحنا 19: 26، 27. يوحنا اسم عبري يعني "الله حنان"، وقد اتصف بهذا التلميذ، بلقب يوحنا الحبيب، لأنه تميز بمكانة ومحبة خاصة لدى المسيح لدرجة أنه اشتهر بالتلميذ الذي كان المسيح يحبه.

: 2619http://www.alkalema.net/drasat/drasat9.htm

¹⁰ - NIDA, Eugena and Taber, Charles : The Theory and practice of translation, Leyde, Brill , Help for Translators, Vol. 2, 1969, P. 4.

¹¹ - الباعمراني: ترجمة معاني القرآن، ص. 3.

¹² - الجزار (محمد فكري): العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص. 21.

¹³ - ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر بيروت، مادة مسح.

¹⁴ - قال الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسن بن محمد): "عيسى اسم علم وإذا جعل عربياً أمكن أن يكون من قولهم بعير أعيس وناقاة عيساء وجمعها عيسٌ وهي إبلٌ بيضٌ يعترى بياضها ظلمةٌ، أو من العيس وهو ماء الفحل يقال عاسها عيسها". المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف): المفردات في غريب القرآن المؤلف :

المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى
- 1412 هـ. ص. 459.

¹⁵ - يوجين نيدا، نحو علم الترجمة، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، 1976، ص. 368.

¹⁶ - اتجاهات في الترجمة، جوانب من نظرية الترجمة، ترجمة محمود إسماعيل صيني، دار
المريخ للنشر، الرياض، 135-136.

¹⁷ - Admiral, Jean- René : Palimpsestes : Traduire la culture, n/11 , Presses de la
Sorbonne Nouvelle, Paris, P.27.